مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 17- 28

عبد المجيد حنون فارس الأدب العام وفقيه المقارنات الأدبية

Abdelmadjid Hanoun, Knight of general literature and scholar of comparative studies

يوسف وغليسي[1]،[*]

[1] *جامعة قسنطينة 1/ الإخوة منتوري (الجزائر)، oughlici.youcef@umc.edu.dz*

تاريخ الإرسال: 2025/03/29 تاريخ القبول: 2025/07/22

الملخص:

يهدف المقال إلى تأكيد ريادة الدكتور عبد المجيد حنون في مجال الأدب العام والمقارن من حيث الإنتاج العلمي والعمل المؤسسي وتكوين جيل من الباحثين؛ حيث يعتمد البحث منهجا وصفيا تحليليا يقوم على تتبع كتبه وأطروحاته، وقراءة مشاريعه البحثية والملتقيات التي أشرف عليها، ورصد ملامح ما يشبه المدرسة الحنّونية.

وتتمحور تساؤلاته حول طبيعة هذا التميّز، وحدود أثره في ترسيخ الأدب العام والمقارن والأسطورة والآداب الهامشية في الجامعة الجزائرية. كما يتساءل عن خصائص رؤيته المنهجية وانتقاله بين التاريخي والموضوعاتي والأسطوري، ومدى انسجامها مع تحولات النقد الحديث.

الكلمات المفتاحية:

الأدب العام والمقارن؛

الأسطورة؛

النقد الأسطوري؛

اللانسونية؛

الموضوعاتية؛

ABSTRACT:

The article highlights Dr. Abdelmadjid Hanoun's pioneering role in shaping general and comparative literature studies in Algeria through his scholarship and institutional initiatives.

It employs a descriptive-analytical approach to examine his major works, research projects, and the academic structures he helped established.

The core questions focus on the nature of his distinction and the extent of his influence in introducing myth, mythocriticism, and paraliterature into Algerian university research.

It also interrogates the specific features of his methodological orientation, especially his shift between historical, thematic, and mythocritical approaches.

Keywords:
General and comparative Literature,
Myth,
Mythocriticism,
Lonsonnism,
Thematics,

[*] يوسف وغليسي.

مقدّمة:

لا ريب عندي في أنّ الأستاذ عبد المجيد حنون* هو فارس (الأدب العام)[1] الذي لا يُشقّ له غبار؛ في الجزائر على الأقل، وهو فقيه الدراسات الأدبية المقارنة التي أخلص لها وأنفق ما يناهز نصف قرن من العمر؛ وإذا كان أستاذُه المرحوم أبو العيد دودو (1934- 2004) قد تفرّق دمُه الأدبي في شتى القبائل المعرفية والإبداعية (الكتابة القصصية والمسرحية والشعرية، الترجمة، الدراسة المقارنة،...)؛ بحيث لم يعد الأدب المقارن سوى هامش من هوامش عطاءاته الكثيرة، فإنّ خليفته وتلميذه الكبير د. حنون قد جعل من المقارنات الأدبية كلّ همّه العلمي، نظريا وتطبيقيا، وقد ورث عنه التعمق في المعرفة والانفتاح على اللغات والثقافات، وعشْق المقارنات، وسموّ الأخلاق العلمية والشخصية،...

فضلا عن ذلك، وضمن ذلك، معا، فإنّ عبد المجيد حنون حليفٌ لا يُستهان به من حلفاء الدراسات الثقافية والآداب الهامشية، وهو العاشق الكبير للأساطير الأدبية، وزعيم من الزعماء الكبار للمنهج الأسطوري في النقد العربي ...

1. عبد المجيد حنون ومدارات التميّز:

لقد تبلور تميّزه في المجالات المعرفية السابقة عبر مجموعة من القنوات العلمية والإدارية التي يكمل بعضها بعضا، والتي يمكن أن نذكر منها ما يأتي:

أ. التأليف العلمي:

برغم أنّ حنون قد انشغل بتأليف العقول، مقصِرا في تأليف الفصول (على ملّة كبار المربّين)؛ فإنّ ذلك لم يمنعه من تأليف كتب قليلة في كمّها، عميقة في كيفها؛ وهي:

أ.1. صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية[2]:

هو رسالته للماجستير، التي ناقشها بجامعة القاهرة، في نهاية سبعينيات القرن الماضي (1979)، بإشراف الدكتورة سهير القلماوي، ثم نشرها في الجزائر سنتي 1986، و2013.

وقد تتبّع فيها –بمنهج تاريخي- صورة الفرنسي في إحدى وثلاثين رواية مغاربية؛ بعضُها (15 رواية) مكتوب باللغة العربية، وبعضُها الباقي باللغة الفرنسية.

وواضح أنّ هذا البحث يندرج في صميم الدراسات المقارنة، ضمن توجُّه حديثٍ منها يُعرَف بدراسة الصورة، أو "علم الصورة"؛ أي (Imagologie) الذي يترجمه بعضهم إلى (الصورلوجية)[3]!؛ وهي ترجمة هجينة تترجم جسم المصطلح وتعرّب لاحقته.

يؤكّد حنون أنّ موضوع بحثه هذا، المتعلق بدراسة "صورة شعب في أدب شعب آخر"[4]، هو "ميدان من ميادين الأدب المقارن، يعتمد أساسا على حقيقة معروفة هي (التأثير والتأثّر) الحاصلة بين شقي الموضوع، شريطة ألا يكون الموضوع في إطار لغوي واحد"[5].

ويبدو أنّ انتماء حنون –في مسعاه البحثي هذا– إلى المدرسة الفرنسية واضحٌ جدا من خلال إصراره على تتبّع علامات التأثير والتأثر ضمن اختلاف لغتيْ الطرفين من جهة، واستحضار الصلات التاريخية بينهما من جهة أخرى؛ حيث يوطّئ لبحثه بمبحث تاريخي حول (الوجود الفرنسي في المغرب العربي)[6].

وعلى العموم، فقد سبق لنا أن أومأنا إلى هذا الكتاب في مناسبتين مختلفتين: إحداهما متعلقة بالحديث عن (منهج مقارن) في النقد الجزائري المعاصر، والأخرى متعلقة بالحديث عن (موضوعاتية مقارنة) يمثل هذا الكتاب –ضمنها– "مشروع دراسة موضوعاتية افتراضية".

أ.2. المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث[7]:

هذا الكتاب هو أطروحته للدكتوراه التي ناقشها في جامعة الجزائر، مطلع تسعينيات القرن الماضي، بإشراف المرحوم أبو العيد دودو، وبعنوان مغاير نسبيا[8].

ويبدو لنا أنّ انزياح عنوان الطبعة الجزائرية للكتاب عن عنوان الطبعة المصرية (التي حافظت –تقريبا– على عنوان الأطروحة الأول)، واستعاضة الباحث عن (اللانسونية) بـ(المدرسة التاريخية)، إنّما يعود إلى تخوف الباحث من احتمال أن تحمّله الدلالات السلبية الكامنة في (اللانسونية) موقفا سلبيا ضمنيا من المنهج التاريخي الذي يدور حولَه البحث؛ وذلك أن المنهج التاريخي، لشدة ارتباطه بجهود الناقد الفرنسي الكبير غوستاف لانسون (G. Lonson) (1857-1934) ووثاقة صلته بمقالته الشهيرة (التي ترجمها محمد مندور عام 1946)، قد أصبح يسمى "اللانسونية" (Lonsonnisme)، وفي غمرة التحولات الراديكالية التي عرفها النقد الفرنسي –في ذلك العهد– والتي بدأت تنادي بنقدٍ جديد مناهض للنقد الجامعي القائم، صارت "اللانسونية" تهمةً منهجية ووصفا تَعْيِيريًّا، يؤكدهما قول حنون نفسه :

"اللانسونية مصطلح أطلقه جماعة من الأدباء والنقاد الفرنسيين أمثال: شارل بيفي وأغاطون (Agaton) وغيرهما سخرية واحتقارا للمنهج التاريخي في دراسة الأدب والتأريخ له كما حدّده لانسون"[9].

لعلّ ذلك ما جعل الباحث يستعيض عنها بالمدرسة التاريخية في عنوان كتابه؛ بحيث يرادف كثيرا في متنه وعناوين فصوله بين اللانسونية والمدرسة التاريخية والمنهج التاريخي، وذلك اتّقاءً لأيّ شبهة من شبهات التحقير المنهجي...!

ويندرج هذا الكتاب ضمن النقد المقارن الذي يتتبع تأثير منهج نقدي غربي (المنهج التاريخي) في الكتابات النقدية العربية الحديثة؛ لاسيما منها تلك الكتابات التي كانت لأصحابها صلة ثقافية تاريخية حقيقية بموطن ذلك المنهج الفرنسي (أحمد ضيف، طه حسين، محمد مندور)، وهو ما يؤكّد –مرة أخرى– تأثر عبد المجيد حنون ببصمات المدرسة الفرنسية المقارنة؛ في احتفائها بعنصري: الصلة التاريخية والتباين اللغوي.

أ.3. العرب والأدب المقارن[10]:

هذا كتاب استقصائي استقرائي شامل، برغم أنّ عدد صفحاته لا يكاد يتجاوز 180 صفحة!، صدر عام 2018، ويتتبّع الباحث فيه المقارنة في الأدب العربي منذ بذورها الأولى في التراث العربي حتى عصرنا هذا، ثم يلاحق فيكتور هوغو في أدبنا العربي الحديث، ويقارن بين شوقي ولامارتين، ويتتبّع صورة باريس في الأدب والثقافة العربيين.

ولا يكتفي بذلك، بل يستثمر إتقانه الكبير للغة الفرنسية فيختمه بمقالين مكتوبين بلسان فرنسي مبين! أحدهما عن الأدب العربي المعاصر وحدوده. (la littérature Arabe Contemporaine et ses frontières)

والآخر عن الأدب العربي ومجالاته اللسانية (Littérature(s)Arabe (s) et aires linguistiques):

أ.4. في الأسطورة والأدب العربي[11]:

لعل هذا الكتاب (الصادر عام 2019) أن يكون أحد أعظم ما كُتب عن الأسطورة في اللغة العربية؛ وذلك لتفرّده بمعالجة جلّ المباحث المتعلقة بالأسطورة؛ ومنها مفاهيم الأسطورة في شتى عمومياتها وأنواعها وخصائصها وعلاقتها بالأدب، والأسطورة بوصفها ميدانا من ميادين الأدب المقارن، والنقد الأسطوري بما هو منهج نقدي قائم بذاته.

لا يكتفي حنون –في كتابه هذا ذي الفصول الثمانية– بدراسة الأسطورة والأدب الأسطوري دراسة نظرية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الممارسة التطبيقية؛ حيث يتتبّع حضور الموروث الأسطوري في الأدب العربي الحديث والمعاصر بصورة شمولية، ثم ينتقل إلى مقاربة أساطير: أدونيس/ تموز، وعشتار/ فينوس، وشهرزاد، وكليوباترا في نصوص أدبية عربية شعرية ونثرية لكتّاب كبار أمثال: توفيق الحكيم، العقاد، السياب، أدونيس، يوسف الخال، خليل حاوي، فاضل الربيعي، نزار قباني، البياتي، بنيس،...

والحقيقة أنّ ولع عبد المجيد حنون بالأساطير سابق لإصدار هذا الكتاب بسنوات؛ إذْ يعود إلى سنوات السبعينيات، لكنّ حضوره المتواصل لسلسلة محاضرات (أسطورية) قدّمها الأستاذ أندري سيغانوس (A.Siganos) في جامعة غرونوبل بفرنسا عام 1993 أشعلَ في أعماقه جذوة الاهتمام بالأسطورة، فضلا عن كونها ميدانا من ميادين مجاله المعرفي الحيوي الأثير (الأدب المقارن).

وإضافة إلى إعجابه بالمشروع العلمي لصديقه الناقد الفرنسي الأسطوري بيار برونال (P.Brunel) الذي أنجز –بمعية عدد من المقارنين الفرنسيين– في جامعة السربون الرابعة "معجم الأساطير الأدبية" (Dictionnaire des Mythes littéraires).

كلّ ذلك جعل حنون يدرك العلاقة الوطيدة بين الأسطورة والأدب "من حيث البناء الفكري، ومن حيث اشتراكهما في المكوّنات كاللغة والخيال والتقنيات التبليغية"[12]، و"مدى أهمية الأسطورة ودورها في بناء العقل البشري ودورها في تغذية الأدب وإثرائه، ودوره –هو الآخر– في الحفاظ عليها"[13].

ومن هذا المنطلق الإدراكي راح يشرف على مشروع ماجستير بجامعة عنابة حول (الأساطير الأدبية) عام 1999، تخرّج فيه جمعٌ من الباحثين الذين صاروا من كبار المتخصصين في الدراسة الأسطورية بالجامعة الجزائرية، بعدما واصلوا مشاريعهم تلك في مرحلة الدكتوراه.

وكذلك اهتمَّ بترجمة ما تيسّر من معجم برونال وأصحابه، بالموازاة مع الشروع في إنجاز (معجم الأساطير الأدبية عند العرب)، ولا زال المشروعان قائمين...!

ب. تأسيس الملتقيات العلمية الكبرى:

من أجَلِّ الأعمال العلمية الكبرى التي كان للأستاذ عبد المجيد حنون دور محوريّ فيها تأسيس ملتقيات دولية ونشر المداخلات المقدّمة فيها. ومن تلك الملتقيات التي ستظلّ راسخة في تاريخ الأدب المقارن خصوصا، يمكن أن نذكر:

ب.1. الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (1983):

أسهم الأستاذ حنون في تأسيس هذا الملتقى المنعقد بجامعة عنابة (ماي 1983) حين كان مديرا لمعهد اللغات والآداب بجامعته.

وقد كان صاحب فكرة الملتقى الذي حضره خلقٌ كثير من كبار الباحثين المتخصصين في الأدب المقارن عربيا وأوربيا (عطية عامر، ريمون طحان، حسام الخطيب، جميل نصيف التكريتي، عز الدين المناصرة، بيار برونال، ميشال باربو،...).

كما أسهم فيه بمداخلة علمية حول "أثر الأدب الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث ذي التعبير العربي[14]".

وجُمعت أعمال الملتقى في كتاب ضخم بثلاث لغات (العربية، الفرنسية، الإنجليزية)، تجاوز عدد صفحاته 500 صفحة.

وقد أوصى ذلك الملتقى بتوصيات جليلة كإنشاء رابطة عربية للأدب المقارن، وعقد مؤتمر دوري سنوي في موضوع من موضوعات الأدب المقارن، وترسيخ تدريس مادة الأدب المقارن في شتى الجامعات العربية.

والجميل في ذلك كله أن تنعكس تلك التوصيات (بما تحقق منها وما لم يتحقق) على جامعة عنابة بالإيجاب؛ إذْ تحوّلت إلى عاصمة علمية عربية للأدب المقارن!

ب.2. الملتقى الدولي الثامن في الأدب المقارن (2015):

كان ملتقى عنابة الأول حدثا علميا تاريخيا، تبعه الملتقى الثاني (جويلية 1984) في موضوع (الأدب المقارن عند العرب: المصطلح والمنهج) وقد أفضى إلى تأسيس الرابطة العربية للأدب المقارن (1984) التي مثّلها بعضُ أعضائها (حنون، حسام الخطيب، سعيد علوش، عز الدين المناصرة،...) في ملتقى الجمعية الدولية للأدب المقارن بباريس (جويلية 1985).

وبعد ملتقيات كثيرة للرابطة وأعوانها في عواصم علمية عربية شتى (دمشق، مراكش، القاهرة، الرباط، تونس،...)، استعادت جامعة عنابة ملتقاها الدولي الثامن (أفريل 2015)، بفضل (مخبر الأدب العام والمقارن) الذي

يديره الأستاذ حنون. وقد خصّص الملتقى لموضوع (الممارسة الأدبية عند العرب والدرس المقارن)، ولم يقتصر إسهام عبد المجيد حنون فيه على رئاسة الملتقى، أو إدارة المخبر المشرف على تنظيمه، بل تعداه إلى المشاركة العلمية بمداخلة عنوانها "الواقع الأدبي العربي وتوجّهات الدرس المقارن[15]".

كما جُمعت أعمال الملتقى في كتاب ضخم ذي جزءين اثنين يضمان زهاء 1500 صفحة كاملة، بأقلام ما يقرب من 50 باحثا بثلاث لغات (العربية، الفرنسية، الإنجليزية).

ب.3. ملتقى الأدب والأسطورة (2007):

لا يزال الهاجس الأسطوري مخيما على فكر عبد المجيد حنون النقدي، ومنه جاء التفكير في عقد ملتقى وطني بعنوان (الأدب والأسطورة)، نظمه مخبر الأدب العام والمقارن بجامعة عنابة (في جانفي 2007)، وشارك فيه ثلة من طلبته الكبار الذين صار كثير منهم من ممثلي النقد الأسطوري المبرزين في الجزائر (سامية عليوي، مديحة عتيق، هجيرة لعور...).

وقد أشرف حنون على ذلك الملتقى (الذي جُمعت مداخلاته الستة عشرة في كتاب)[16] بوصفه عميدا لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ومديرا للمخبر الذي نظم ذلك النشاط العلمي الوطني.

2. المدرسة "الحنّونية": ثقافة المشروع العلمي واستراتيجيات العمل الجماعي المؤسساتي

لا حرج في الحديث عن مدرسةٍ (حنّونية) واضحة المعالم في الفضاء البحثي العلمي الجامعي الجزائري، تقوم على الانسجام الفكري الجماعي بين مختلف المنخرطين فيها، وتركيز الاهتمام على الهواجس المعرفية المشتركة (التي لا تكاد تخرج عن مفاهيم الأدب العام والأدب المقارن)، ورسْم استراتيجيات علمية واضحة المنطلقات والأهداف...

ويُلاحظ أنّ عبد المجيد حنون، بحسّه الأخلاقي العالي، وحنكته الإدارية، وخبرته التسييرية، وقدرته على احتواء الآخر، فضلا عن تبحّره الواسع في مجالاته العلمية الحيوية وإخلاصه الكبير لتخصّصه المعرفي الدقيق، بذلك كله استطاع أن يُرسي معالم مدرسة نقدية متخصصة في الأدب المقارن وما يمتّ إليه بصلات معرفية جزئية، اتخذت من جامعة عنابة مقرّا لها، ثم استقطبت مريدين آخرين من جامعات مجاورة (قالمة، سوق أهراس، الطارف،...).

وقد كان "مخبر الأدب العام والمقارن"[17] ومجلّته المحكّمة (التواصل الأدبي) إطارا لجلّ نشاطات تلك المدرسة، مكّنها من تحقيق إنتاج علمي محترم[18]، استرعى انتباه بعض الباحثين إلى الثقافة المؤسساتية التي تحكم النشاط العلمي للدكتور حنون[19].

ومما يلاحظ على جلّ المنتسبين إلى هذه المدرسة أنهم من طلبة الدكتور حنون الذين درسوا على يديه في مراحل التدرّج أو ما بعد التدرج، وأن كثيرا منهم قد أنجزوا رسائلهم الجامعية (ماجستير ودكتوراه) بتأطيره وإشرافه وتوجيهه، وقد صارت رسائلهم[20] مراجع مهمّة لا يستغنى عنها في بابها.

كما يلاحظ أنّ زعيم هذه المدرسة كان من التواضع والإصغاء إلى جهود طلبته بحيث ظل يشيد بها ويُحيل عليها في كثير من المناسبات البحثية[21]، تشجيعا منه لهم، واعترافا بمجهوداتهم المبذولة،...

وقد تبلورت جلّ تلك الجهود العلمية في اختصاصات معرفية محدّدة تتمحور –عادة– حول الأدب المقارن وما ينفتح عليه من أدب عام يفضي إلى الأساطير والآداب الهامشية، مع اهتمام ملحوظ بالمنهجيْن: الموضوعاتي (Thématique) والأسطوري (Méthocritique)؛ فضلا عن النقد الثقافي.

والحقيقة أنّ لعبد المجيد حنون اليد الطولى في ترسيخ جلّ تلك الاختصاصات الأدبية والنقدية الدقيقة، في جامعة عنابة، والجامعة الجزائرية عموما؛ فلا الأدب الهامشي ولا الأساطير الأدبية ولا النقد الأسطوري ولا كثير من أبواب الأدب العام كانت بالشيء المذكور في تاريخ الجامعة الجزائرية قبل عبد المجيد حنون! وإذا شئنا ألا نبالغ كثيرا وجب علينا أن نقارن أحوال تلك الاختصاصات بما كانت عليه قبل حنون وما صارت إليه بعده.

ومنه يحقّ لنا الحديث عن مدرسة (عنّابية) في البحث العلمي يتزعّمها الأستاذ عبد المجيد حنون، قد نسمّيها مدرسة (الأدب العام والمقارن)؛ اعترافا بالدور الكبير الذي مثّله ذلك المخبر في مسارها العلمي .

3. حنون.. المسار البحثي والتحوّلات المنهجية:

رأينا أن عبد المجيد حنون قد بالغ في إخلاصه لاختصاصه الدقيق (الأدب المقارن وما جاوره!)؛ بحيث كانت جلّ موضوعاته البحثية على صلة بالأدب العام والمقارن برغم تغيّر المدوّنات النصية التي اشتغل عليها، والآليات الإجرائية التي اشتغل بها.

أمّا بخصوص المنهج المتوسّل فليس في مسار حنون كلّه سوى ثلاث محطات منهجية أساسية:

3.أ. المنهج التاريخي:

اعتمده في كتابه الأول (صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية)؛ لاسيما فصله الأول الموطّئ للبحث، والمتعلق بلمحة تاريخية حول الوجود الفرنسي في المغرب العربي؛ حيث إنّ "لمحة تاريخية تعطي وضوحا وتمكن من فهم أعمق لخلفيات الصورة"[22]، ثم يتراجع التاريخ تدريجيا كلما تقدمنا في البحث، ليُفسح المجال أمام آليات منهجية أخرى تقتضيها دراسة الصورة كالتحليل والتركيب والمقارنة...

ويذكر حنّون[23] أنّ صلته بالمنهج التاريخي قديمة؛ تعود إلى سنوات الدراسة في الماجستير بجامعة القاهرة، ضمن مقرّر مادة (المنهجية) مع أستاذه د. عامر عطية، المرتكز على المدرستين (التأثرية) و(التاريخية) اللتين كان الأستاذ على دراية كبيرة –خلالهما– بأعمال علميْهما الكبيرين جول لوماتر وغوستاف لانسون، وحين تعمّقت معرفته بأعمال لانسون أُغرم بنزوعه التوفيقي بين الذوق والمعرفة[24]، ثمّ اتخذ من (اللانسونية) موضوعا للبحث اعتمد فيه "على المنهج التاريخي نفسِه"[25].

وبعدما تتبّع الحضور "اللانسوني" في النقد العربي الحديث، من خلال أشهر أعلامه، انتهى إلى أنّ "اللانسونية قدمت للأدب العربي خدمات جليلة، ولكن الوقت حان لتجاوزها (...) باستخدام ما جدّ من مناهج البحث الأدبي"[26].

3.ب. المنهج الموضوعاتي:

كثيرا ما يتخذ المقارنون من علم الموضوعات (Thématologie) ميدانا للمقارنة الأدبية، يستعينون عليه – أثناءها– بمنهج موضوعاتي (Thématique)، وقد اقترب عبد المجيد حنون من هذا الفعل في كتابه الأول وهو يدرس صورة الفرنسي في الرواية المغاربية؛ حيث تشكّل تلك الصور الفرعية موضوعاتٍ جزئية تغري بدراسة موضوعاتية، لكن حنون آثر المدخل المنهجي التاريخي على غيره في رصده لتلك الصور.

بيْد أنّ ذلك لم يمنعه من الإشراف على رسائل جامعية كثيرة اختار لها الموضوعاتية منهجا دراسيا مصْطفى، كنّا قد أشرنا إلى بعضها في مقام آخر[27].

3.ج. المنهج الأسطوري:

لم تكن الدراسة الأسطورية في النقد الجزائري، قبل حنّون، سوى هامشٍ بحثي يَسيرٍ يُشار إليه في سياق جزئي متعلّق بدراسة الرمز الأسطوري في قصيدة ما، أو رواية معيّنة. أمّا النقد الأسطوري (Mythocritique) فلم يكُ شيئا مذكورا في تاريخ النقد الجزائري حتى جاء عبد المجيد حنّون، وقد تشبّع بتجربة صديقه الناقد الفرنسي الشهير Pierre Brunel (من مواليد 1939)، كما تبلورت في كتابه "النقد الأسطوري" (Mythocritique)، الصادر عام 1992، فَتَمَثّل تلك التجربة وذلك الاتجاه داخل المنهج الأسطوري الذي كان حنّون أوّل وأكبر من أشاعه في النقد الجزائري، بنسخته "البرونالية" (نسبة إلى بيار برونال) ذات الثلاثية الإجرائية الشهيرة التي جعلها برونال عنوانا للمبحث النظري الأخير ضمن القسم الأول من قسميْ كتابه: (التجلي أو الإشراق: Emergence، المطاوعة أو المرونة: Flexibilité، الإشعاع أو الانتشار Irradiation[28].

وقد نسج برونال هذا التصنيف (classification) الثلاثي المقترح، الذي اجتهد في جعله على قدر من الوضوح (clarté)، ابتغاءَ "تأسيس طريقة (un mode) للتحليل الأدبي، هي النقد الأسطوري"[29]؛ تلك الطريقة التي آمن بها عبد المجيد حنون شبكةً إجرائيةً متينة قادرة على الإحاطة بتفاصيل العناصر الأسطورية الممتدة في النص الأدبي[30]، وغرسَها في بحوث طلبته الذين طبقوها بأمانة مبالغ فيها حدّ التنميط والتجميد !

إلى درجة أنّنا اطّلعنا على عدد كبير من تلك البحوث[31] فما ألفيناها تَحيد فتيلا عن ترجمته الشخصية لأيّ من تلك العناصر الثلاثة، برغم إحالة بعضها –في الهامش– على كتاب برونال الأصلي لا على ترجمة حنّون!، وبرغم أنّ أيّ عارف باللغة الفرنسية معرفة بسيطة يمكنه أن يحتجّ على تلك الترجمات؛ وأن يقترح –على سبيل التمثيل– مقابلة المصطلح الأول- (Emergence) في سياقه– بترجمات أخرى: كالانبعاث والانبثاق والبزوغ، أو حتى البروز والظهور...

ومقابلة المصطلح الثاني (Flexibilité) بالمرونة أو الليونة أو حتى القابلية للتكيف...، ومقابلة المصطلح الثالث (Irradiation)ببدائل اصطلاحية أخرى كالسطوع والانتشار...

وليس الموقفُ موقفَ مفاضلة اصطلاحية على أية حال، بقدر ما هو موقف مساءلة...!

ولقد عرّف حنّون بالمنهج الأسطوري، وفصّل آلياته المجملة سابقا، في كتابه (في الأسطورة والأدب العربي)، ضمن مبحثه (النقد الأسطوري والأدب العربي)، وحاول تطبيقه على بعض النصوص العربية ومنها قصيدة عبد الوهاب البياتي (شيءٌ من ألف ليلة)[32].

لكنّه، كعادته في مواقفه المنهجية، لا يتعصّب لمنهج فضّلَهُ في مناسبة نصّية معينة تعصّبا أبديا؛ فليس هذا المنهج سوى "مقاربة من المقاربات، قد يكون له دور معتبر في الكشف عن خبايا الكثير من نصوص الأدب (...) غير أن هذا لا يعني أن النقد الأسطوري هو المنهج الأمثل الذي لم يوجد مثيل له"[33].

وبرغم إيمانه بأنّ تطبيق المنهج الأسطوري على الأدب العربي سيعود عليه "بخير فكري عَميم"[34]، فإنّه لا ينسى أن يصف الدراسةَ الأسطورية –في مواقف أخرى– بأنّها "دراسة انتقائية تناسب نصوصا ولا تُناسب أخرى"[35].

هذا الموقف يذكرنا بموقفه من المنهج التاريخي الذي آزره وآثره ذات فترة من مساره البحثي، لكن ذلك لم يمنعه من القول في ختام كتابه (المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث)[36] بأنّ هذا المنهج قد قدّم للأدب العربي ما أمكنه لكنه تقادم وآن أوان تجاوزه إلى غيره!

ولا معنى لذلك كله سوى أنّ حنّون باحثٌ ذو فكر نقدي ديمقراطي منفتح على مختلف المناهج والآليات التي لا فضل لأحدها على غيره إلا بما يقدّمه للنص المدروس أكثر من سواه.

خاتمة:

وعموما، فإنّ في كثير من المواصفات العلمية والمنهجية المشرقة التي خلعْناها على عبد المجيد حنّون –عبر هذه الورقة العجْلى– دلائلَ على تفرّده الكبير باحثا ومديرا للبحث، كان يمكن للنقد الجزائري (والبحث العلمي عموما) أن يستفيد أكثر من عطائه العلمي، وكان في الإمكان أبدع مما كان، لولا أنّه قلّل وقصّر تقصيرا ملحوظا في التأليف، من جهة، وبالغ في التقيّد باختصاصه العلمي الدقيق، من جهة ثانية!

المصادر والمراجع:

1/ آرون، بول (وآخرون)، (2012)، معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة محمد حمود، ط01، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

2/ جلاّلي، بومدين، (2012)، النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي، ط01، دار الحمراء، سيدي بلعباس.

3/ حنون، عبد المجيد، (2007)، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة (23– 24 جانفي 2007)، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار–عنابة.

4/ حنون، عبد المجيد، (2015)، أعمال الملتقى الدولي الثامن في الأدب المقارن (الممارسة الأدبية عند العرب والدرس المقارن)، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار–عنابة، ج01.

5/ حنون، عبد المجيد، (1985)، أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (14–19 ماي 1983)، معهد اللغات والآداب، جامعة عنابة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

6/ حنون، عبد المجيد، (2013)، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغربية، دار بهاء الدين، قسنطينة.

7/ حنون، عبد المجيد، (1991)، اللانسونية وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث (رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة، تخصص: أدب مقارن)، إشراف: د. أبو العيد دودو، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر.

8/ حنون، عبد المجيد، (2018)، العرب والأدب المقارن–دراسة، ط01، دار ميم للنشر، الجزائر.

9/ حنون، عبد المجيد، (2019)، في الأسطورة والأدب العربي، ط01، دار ميم للنشر، الجزائر.

10/ حنون، عبد المجيد، (2010)، المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، دار بهاء الدين، قسنطينة.

11/ حنون، عبد المجيد، وآخرون، معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار–عنابة، د.ت.

12/ علوش، سعيد، (2019)، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مراجعة كيان يحيى وحسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

13/ وغليسي، يوسف، (2017)، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار جسور، الجزائر.

14/ Brunel, Pierre, (1992), Mythocritique _ théorie et parcours, Puf, Paris, p.72.

الهوامش والإحالات:

* أستاذ ومترجم وباحث جامعي جزائري متخصّص في الأدب المقارن. من مواليد 1948 بولاية جيجل، تخرّج في جامعة قسنطينة (1975)، أحرز الماجستير من جامعة القاهرة (1979)، ودكتوراه الدولة من جامعة الجزائر (1991). اشتغل مديرا لمعهد اللغات والآداب بجامعة عنابة، ثم نائبا لمدير الجامعة، ثم عميدا لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ومديرا لمركز التعليم المكثف للغات. كما شغل مدير مخبر الأدب العام والمقارن، وهو عضو الجمعية الدولية للأدب المقارن.

قضى في التدريس الجامعي ما يربو على أربعين عاما، ثم تقاعد عام 2023، بدرجة علمية فخرية (أستاذ مميز) عام 2025.

للاستزادة، تراجع ترجمته في:

معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار–عنابة، د.ت، ص 233.

[1] للأدب العام (Littérature générale) في (معجم المصطلحات الأدبية) دلالات محدّدة تجعل منه ذلك الأدب العالمي اللاقومي المتمحور حول "العوامل المشتركة الثابتة التي توحد عبر الزمان والمكان بين مختلف أنواع الممارسات الأدبية"، ويدرس "الحركات والطرائق الأدبية التي تتجاوز الحدود القومية"، كما يجْمع "ثوابت الجمال الأدبي". وهو "أوسع انفتاح نظري للدراسات المقارنة"، قاد الأدبَ المقارن إلى انفتاح كبير على النصوص الشعبية واللاأدبية، أفضى إلى "إقامة تصور متداخل المذاهب يقيم علاقة ما بين الأدب وسائر الممارسات الفنية."

ومن الطريف أن يتقاطع الأدب العام مع (نظرية الأدب)، فيدعو بعضهم إلى جعل الأدب المقارن علما عاما (أو شعرية عامة) للآداب، لتكون هذه الفكرة الجوهرية أصل تأسيس المجلة الفرنسية الشهيرة (poétique) التي آثرت مصطلح (الشعرية) على مصطلح (الأدب العام) الذي وصفَه القائمون على تحرير المجلة (عام 1970) بعبارة "الدواء الخطأ للمقارنة المتوفّاة!"

للاستزادة يراجع:

آرون، بول (وآخرون)، (2012)، معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة محمد حمود، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص 67–68.

[2] صدر عن دار بهاء الدين للنشر والتوزيع بقسنطينة، ط2، 2013.

وقد صدرت طبعته الأولى بعنوان مغاير نسبيا (صورة الفرنسي في الرواية المغربية) عن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

[3] علوش، سعيد، (2019)، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مراجعة كيان يحيى وحسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص 348.

[4] صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، ص 51.

[5] نفسه، ص 53.

[6] نفسه، ص ص 5-47.

[7] حنون، عبد المجيد، (2010)، المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، دار بهاء الدين، قسنطينة، وقد صدرت طبعته المصرية الأولى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة 1996 بعنوان (اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث).

[8] حنون، عبد المجيد، (1991)، اللانسونية وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث (رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة، تخصص: أدب مقارن)، إشراف: د. أبو العيد دودو، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر.

[9] المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص 95. ويُنظر النص ذاته في مخطوط الأطروحة، ص 63.

[10] حنون، عبد المجيد، (2018)، العرب والأدب المقارن-دراسة، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر.

[11] حنون، عبد المجيد، (2019)، في الأسطورة والأدب العربي، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر.

[12] حنون، عبد المجيد، (2007)، الكلمة الافتتاحية لأعمال ملتقى الأدب والأسطورة، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار- عنابة، ص 06.

[13] نفسه، ص 06.

[14] حنون، عبد المجيد، (1985)، أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (14-19 ماي 1983)، معهد اللغات والآداب، جامعة عنابة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 227-236.

[15] حنون، عبد المجيد، (2015)، أعمال الملتقى الدولي الثامن في الأدب المقارن (الممارسة الأدبية عند العرب والدرس المقارن)، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار-عنابة، ج01، ص ص 26-74.

[16] حنون، عبد المجيد، (2007)، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة (23- 24 جانفي 2007)، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار-عنابة، (291 صفحة).

[17] تأسس هذا المخبر في جامعة عنابة بقرار وزاري صدر في 25. 07. 2000م، ويتألف من ستّ ورشات بحث (الأدب المقارن، الأدب العام، الأدب الهامشي،...) يضمّ المخبر حوالي 30 باحثا، وحوالي مئة طالب دكتوراه.

ينظر: حنون، عبد المجيد، العرب والأدب المقارن، ص 48.

[18] من الكتب التي أصدرها المخبر:

-محمد غنيمي هلال والمنهج المقارن، للمرحومة شهيرة حرود.

-معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين (تأليف: شريبط أحمد، علي خفيف، صالح ولعة، إسماعيل بن صفية).

- ما الأدب المقارن؟ (تأليف: بيار برونيل وآخرين، ترجمة: عبد المجيد حنون ونسيمة عيلان وعمار رجال).

[19] جلاّلي، بومدين، (2012)، النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي، ط1، دار الحمراء، سيدي بلعباس، ص 248-249.

[20] نذكر من تلك الرسائل، على سبيل التمثيل لا الحصر:

- تجليات شهرزاد في الشعر العربي الحديث والمعاصر، لسامية عليوي (صدرت عن دار ميم سنة 2018)

- تجليات شهرزاد في الشعرين العربي والفرنسي دراسة نقدية أسطورية مقارنة (رسالة دكتوراه للباحثة نفسها، 2008).

- أسطورة العالم الآخر في الشعر العربي الحديث والمعاصر- دراسة موضوعاتية لمديحة عتيق (صدرت عن دار ميم سنة 2010).

- أسطورة التكوين في روايات إبراهيم الكوني، لهجيرة لعور.

- أسطورة المخلّص وتقنيات توظيفها في الشعر العربي المعاصر- دراسة نقدية أسطورية، لعبد الحليم مخالفة، (2024)

[21] تُنظر بعضُ إحالاته على رسائل طلبته، واستشهاداته بها، أو ثناؤه عليها، في كتابيْه:

- في الأسطورة والأدب العربي، ص 89، 93،...

- العرب والأدب المقارن، ص 155،...

[22] صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، المقدمة، ص (ز)

[23] المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص 09.

[24] نفسه، ص 09.

[25] نفسه، ص 17.

[26] نفسه، ص 382.

[27] وغليسي، يوسف، (2017)، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار جسور، الجزائر، ص 92-93.

[28] Brunel, Pierre, (1992), Mythocritique _ théorie et parcours, Puf, Paris, p.72.

[29] Ibid, p. 72.

[30] في الأسطورة والأدب العربي، ص ص 62- 73.

[31] ينظر ثبات تلك الثلاثية الاصطلاحية –برغم تغيّر الأسماء والمدونات البحثية- في مثل هذه البحوث:

-لعور، هجيرة، تقنيات التوظيف الأسطوري في رسالة الغفران، ضمن (أعمال ملتقى الأدب والأسطورة) ، ص 259.

-بوبكري، راضية، الأدب والأسطورة، نفسه، ص 17.

-ماي، آمال، (2011)، تجليات شهرزاد في الشعر الجزائري المعاصر، سامية عليوي أنموذجا (دراسة نقدية أسطورية)، منشورات دار قرطبة، الجزائر، ص 21-22.

-مخالفة، عبد الحليم، (2024)، تجليات أسطورة المخلص في الشعر العربي المعاصر (دراسة نقدية أسطورية)، مخطوط دكتوراه علوم، جامعة باجي مختار- عنابة، ص 23-24.

- لعور، هشام، (2024)، المنهج الأسطوري في نقد الشعر العربي القديم، مخطوط دكتوراه علوم، جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة، ص ص 31-35.

[32] في الأسطورة والأدب العربي، ص ص 64-72.

[33] نفسه، ص 73.

[34] نفسه، ص 74.

[35] نفسه، ص 73.

[36] المدرسة التاريخية في النقد العربي الحديث، ص 382.